

التصوف بالمغرب الإسلامي

د: عباس رضوان¹

مقدمة:

عرف التصوف تطوراً هاماً ابتداءً من القرن "السادس هجري"، ويبدو أن نجاح هذه الحركة وتطورها يرجع إلى عوامل نذكر منها حاجة رجال الدين الصوفية إلى وضع مبادئ جوهرية في الأخلاق والتصوف على شكل بسيط تكون في متناول إخوانهم في الدين. ثم الأثر الذي أحدثته الترف وحياء البذخ والاستمتاع لدى الفقهاء والمرابطين الذين حظو بالمناصب الرفيعة دفعت بالذين لم يلحقوا الركب إلى الاعتزال لإظهار ترفعهم عن ذلك وكذلك إهمال الكبار والعامة لمبادئ الدين وقواعده، وكذا الاتصال بالمشرق عن طريق الحج "أنظر إلى رحلة ابن بطوطة"، وتتلذذ كثير من الرواد على يد مشايخ التصوف في المشرق والاطلاع على الكتب والمؤلفات المهمة في هذا الشأن كرسالة القشيري وإحياء علوم الدين، وزيادة على ذلك نذكر تهماً بلاد المغرب لقبول الفكر الصوفي، وكذا الأمن والاستقرار الذي ميز العصر الموحي حيث تحققت فيه الوحدة المغربية وقويت السلطة المركزية مساعد ذلك على انتشار التصوف وتطوره "كما ساعدت محاولات أبي حامد الغزالي في التوفيق بين أهل السنة والمتصوفة على خروج التصوف من أفق ضيق إلى فضاء أوسع¹، وعلى إثر ذلك ظهرت بالمغرب طرقات صوفية على يد مشايخ كان لهم الفضل في نشر الإسلام بالمنطقة منهم "أبي مدين شعيب²، ومحي الدين ابن عربي³ وأبي الحسن الشاذلي حيث تخرج على أيديهم مئات الطلبة الممتازين في علم التصوف فنشروه بين الأوساط الريفية الشعبية فأنشأوا لهذا الغرض زوايا للتعالم الصوفية⁴، حيث ظهرت عدة طرق صوفية حسب منال عبد المنعم "فقد عرفت الطريقة بأنها عبارة عن مجموعة أفراد من الصوفية يتبعون شيخ الطريقة، ويخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي ويحيون حياة اجتماعية تتخللها اجتماعات دورية في مناسبات معينة ويعقدون مجالس للذكر والعلم بصورة منتظمة في الزوايا والربط.⁵

كيف انتشر التصوف في المغرب؟ وماهي أهم الاوضاع التي ساعدته على ذلك؟

¹ أستاذ بحث-ب- المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ ، ماحقة تلمسان مركز

الدراسات الاندلسية red_abbas30@yahoo.com

حسب ألفرد بل: "استطاعت الزاوية أن تكتسب ثقة الجماهير، بفضل التعليم الذي جعلته في متناول الجميع، وبفضل شيخها الذي كان من أولياء الله المباركين صارت بديلا إلى حد كبير عن علماء العلوم الدينية في الجامعات المدارس والمساجد الجامعة، ونشرت الإسلام الصوفي في الأرياف، وفي المدن ومهدت لانتصار الطرق الدينية القريب، والطرق الأولى في المغرب نشأت في غير القادرية (التي تنتسب إلى عبد القادر الجيلاني وأبي الحسن الشاذلي، وعبد السلام بن ميثش.⁶

حيث عرفت الطرق الصوفية تبلورا في اتجاهاتها وطقوسها الخاصة منذ القرن الخامس الهجري أين اختلفت في مناهجها وأساليبها إلا أن هدفها كان واحدا وهو الوصول إلى الله "فالتعدد والاختلاف بين الطرق لا يمس الهدف... وإنما يقتصر على اختلاف الأساليب والمناهج التي يتم بها الوصول إلى تحقيق الهدف، ويرجع ذلك الاختلاف إلى تعدد الوسائل في عبادة الله عز وجل من ناحية واختلاف الطبائع البشرية من ناحية أخرى... فيجد كل مريد ما يلائم حاجاته وطاقته ويناسب وقته ومزاجه ويتفق وبيئته، ففي تعدد الطرق وتنوعها واختلافها فائدة للمريد... وذكر ابن زروق في هذا الشأن: "أن في اختلاف المسالك راحة للمسالك...⁷ ، ومن هنا أصبح شيوخ الطرق الصوفية يجتهدون في وضع الأوراد والأذكار ويكلفون مريديهم بما يصلح لهم ويناسبهم منها على حسب استعدادهم الروحي وطاقاتهم، وربما تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أثر عنه أنه كان يكلم الناس على قدر عقولهم ويكلفهم بما يطيقون، فقد كان أعرف الناس بصحبته وبأوضاعهم وبما يصلح لهم.

أما حسب مختار الطاهر فيلالي "ابتداء من القرن الرابع عشر الميلادي لم يعد الصوفية ينتسبون إلى نفس الأوساط المتعلمة كما كان الحال عليه من قبل ليختفي التصوف تماما ولمدة قرن تقريبا حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، عصر الجازولي المتوفى 870هـ/1465م لكن دون مستوى عال كما كان من قبل على أن هذا لم يمنع الحركة الصوفية من مواصلة سيرها.⁸

1. انتشار التصوف بالمغرب الإسلامي: ابتداء من سقوط الأندلس إثر الهجمات الإسبانية البرتغالية والتحولت الاجتماعية والثقافية خصوصا مع ضعف الدويلات الثلاث المرينية والزيرية والحفصية وتدهور الأوضاع نتيجة لضعف الأجهزة السياسية فقضي على التجارة أو الطرق التجارية وكان كل ذلك من جملة أسباب تدهور الأوضاع الاقتصادية والثقافية وتراجع الحياة الفكرية وانتشر

الجهل والخرافات وولع الناس بالحكايات الشعبية وساد الاعتقاد في الأولياء وفي كراماتهم، فإزدادت سلطتهم الروحية واتسع نفوذهم وكثر عددهم⁹، وأمام مخاطر اللأمن والاستقرار وجهت الأوساط الشعبية أنظارها إلى المرابطين أي كبار الصوفية في الجماعات الدينية والتمسوا النجاة على أيديهم خاصة عندما أشاع الأولياء بأنهم يتصرفون في الكون بقدرتهم الروحية ويعلمون الغيب وبأن الله تعالى هو الذي يحارب عنهم كل من حاربهم¹⁰، ولقد ساهم الخطر المسيحي على شمال إفريقيا في تقوية نفوذ الجماعات الصوفية فظفروا باحترام عامة الناس فرفع مكانتهم وزاد نفوذ سلطاتهم كما نسب بعض رجال المتصوفة أنفسهم إلى الأشراف... وهي ظاهرة لم تكن معروفة عند المتصوفية القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلادي¹¹، وبدأ انتشار واسع للطرق بزواياها وربطاتها في المغرب العربي انطلاقاً من القرن الخامس عشر الميلادي وبذلك انتظمت معظم الأوساط الشعبية وانصهرت في كنف هذه الطرق الصوفية خاصة مع أبي الحسن الشاذلي الذي عظم أمر الصوفية معه، فقد كانت الشاذلية تعني تهذيب الأخلاق وتحافظ على شرائع الدين متمسكة بالبيئة قولاً وعملاً وقد تفرع عنها زهاء ثلاثين طريقة في إفريقيا¹²، وفي القرن السادس عشر ظهرت الطريقة القادرية بإفريقيا السوداء بواسطة جماعة من المهاجرين العرب الذين استقروا مدة في توات وبعد ذلك انتقلوا إلى السودان الغربي الذي كان يعتبر مركزاً لهم لنشر الطريقة الصوفية القادرية¹³

وبعد انتشار الطرق الصوفية كان طبعاً أن يتبع ذلك حماساً كبيراً في بناء الزوايا والرباطات حيث أصبحت مراكز يتجمع حولها المريدون والأتباع وتضطلع بمهام علمية اجتماعية اقتصادية وجهادية.

والتفاعل بين المشرق والمغرب العربيين ثقافياً وبشريا يكاد يكون واضحاً خاصة من الجانب الصوفي، والحقيقة التي لا يمكن إغفالها أن هناك شخصيات صوفية مغربية ساهمت بقوة في نمو الحركة الطرقية الصوفية بالمشرق العربي لاسيما بمصر فكثير من المتصوفة الذين اشتهروا في المشرق وكونوا طوائف كانوا في المغرب مثل أبي الحسن الشاذلي¹⁴، وأحمد البدوي، وأحمد الرفاعي، ثم انتقلت طرقهم إلى المغرب فصار لهم أتباع يقتدون بهم، وبهذه الصفة الدورية وقع التفاعل الصوفي وكانت قنوات التوصل والاتصال مع الحجاج المغاربة¹⁵.

حسب إبراهيم مياي "ومع القرن الثامن للهجرة/القرن الرابع عشر ميلادي كانت الحركة الصوفية قد لعبت دورا أساسيا في رسم معالم الحياة الدينية والاجتماعية في الأقطار المغربية ومنها الجزائر، ولم تعد هذه الحركة منذ ذلك القرن تقتصر على جماعة من الزهاد والمتصوفين بل كافة المجتمع، ورسخت وتغلغلت في التقاليد الشعبية وأصبح المتصوفة يبحثون عن أماكن للخلو والعبادة في المدن والأرياف، وانتشرت الألقاب مثل الولي والغوث والطبيب ومعرفة علم الحقيقة، وبدأ الناس يقبلون على المجاهدة والكشف وينخرطون في الزوايا ويؤمنون بالأولياء وكرامتهم، ويندفعون إلى زيارة المقابر وأصبح المتصوفة يمثلون قوة روحية، وقد صاحب كثرة العلماء والمتصوفة بالجزائر شيوع طريقتين القادرية والشاذلية¹⁶ كما انتشرت الطريقة القادرية في جهات عديدة من العالم الإسلامي انتشارا واسعا وكان لها نشاط كبير في نشر الإسلام، ففي إفريقيا الغربية استطاع أتباعها ومريدها أن ينشؤوا الزوايا ويفتحوا الكتاتيب القرآنية لتعليم الناس وكلفتهم الدين الإسلامي وإرسال النجباء من المريدين إلى معاهد طرابلس والقيروان والقرويين وجامع الزيتونة والأزهر الشريف على نفقة الزاوية القادرية قصد التبحر في الدين الإسلامي والعودة إلى ديارهم للعمل في سلك نظام الفرق الصوفية التي سعت إلى مقاومة التبشير المسيحي، والجهاد ضد المستعمر بكل الوسائل¹⁷.

لنصرة الدين الإسلامي واللغة العربية وتثبيت أسسه في أرض إفريقيا عامة والجزائر خاصة، أين ظهر دور هذه الزاوية السياسي بعدما كانت تأسيسها ديني فبمرور الوقت وتغير الأوضاع الذي شهدته فترة سقوط الدويلات المغربية الثلاثة وظهور التحرش الإسباني والبرتغالي وحلول الأتراك إلى بلاد المغرب وتوتر العلاقات بين زعماء أو حاق الجزائر وشرفاء مملكة المغرب التي دفعت إلى عدم استقرار الحدود التي كانت تحت رحمة الجيوش يقول ألفرد بل "ولما صار الترك سادة البلاد، وكذلك كان الأشراف في القسم الغربي من الشمال الإفريقي اضطروا إلى اتخاذ سياسة صوفية، فإذا كانت المناطق الغربية من الشمال الإفريقي تحتوي على زوايا شاذلية، فإنه في القسم الذي كان يسيطر عليه الأتراك كانت السيادة للزوايا القادرية، واعتمد الترك على جماعات الطريقة القادرية وكذلك على سائر زعماء الطرق الصوفية والصوفيّين المحليين وأحاطوهم كما قال "A.cour" بالدعاية ومظاهر الاحترام رفعوا من شأنهم في نظر العامة ولم يقصروا في مجازاة خدماتهم بسخاء ولا في عقاب مظاهر المعادة بقسوة، أما ميلهم إلى القادرية بصفة خاصة، فكانت له عدة أسباب، أولها

أن سلطان القسطنطينية وله يدين بالولاء ولاية الجزائر وتونس، كان حاميا لهذه الطريقة الصوفية القادرية في الشرق وحتى بغداد حيث كان مقر الطريقة الرئيسي¹⁸، وحسب عبد الرحمن الجليلي "كان أتباع القادرية هم أحسن المبشرين بالدين الإسلامي من غرب إفريقيا... وبهذا المجرى الطريقي أصبحت مراكز كثيرة في إفريقية تتأجج فيها حرارة الإسلام" وقال إن أتباع الطرق هم الذين تم على يدهم إسلام القسم الأعظم من مسلمي أواسط إفريقية.¹⁹

وتقول منال عبد المنعم الطرق الصوفية تمثل مراكز وجماعات للدعوة الإسلامية وقد امتلأت بالعديد من الدعاة الفقهين الذين بلغوا قدرا كبيرا من العلم والمعرفة وقد انشر هؤلاء الدعاة في إفريقيا وكان لهم دور واضح في نشر الدعوة الإسلامية ومواجهة جماعات التبشير المسيحية ومقاومتها وفي مقاومة النفوذ الفرنسي والإيطالي والإسباني المتسلط على المغرب العربي كله منذ 1830 في الجزائر و 1881 في تونس و 1911 في طرابلس و 1912 في المغرب الأقصى²⁰،

ولكن ما لبثت الأوضاع تسير وفق رغبات الأتراك، إلى أن تفاقم الوضع ضد الأتراك خصوصا بعدما قام التحالف بين ابن الأحرش والمرابط عبد الله الزبوشي بعد انضمامه إلى ثورة درقاوي في غرب وشرق البلاد وانضمام الطريقة الرحمانية في نواحي قسنطينة بسبب سحب الإعفاء من دفع الضرائب من بعض الزوايا وهذا ما دفع الزوايا الأخرى والطرق الأكثر قربا منهم والتي كانت قد ساندتها على الانتشار كالطريقة القادرية، وهذا ما دفع العثمانيون إلى تضيق الخناق بعد ثورة درقاوة على آخرين من زعماء الطرق الصوفية ورجال الدين عامة.²¹

وكانت أقسى ثورة واجهها العثمانيون في الجزائر هي التي وقعت سنة 1830، أين رفض شيخ الطريقة القادرية "محي الدين والد الأمير عبد القادر وشيخ الطريقة التجانية أن يمدا يد المساعدة إلى الباي حسن في وهران، كما رفض الأمير عبد القادر التحالف مع الحاج أحمد باي بقسنطينة، الذي ادعى أنه الوريث الشرعي للنظام العثماني، وكان اعتماد الشعب الجزائري على نفسه في مقاومة الفرنسيين أكبر درس للعثمانيين الذين خرجوا من الجزائر.²²

2. عوامل انتشار ظاهرة التصوف بالمغرب الإسلامي:

أ-العوامل السياسية

حسب بوداود عبيد "بسبب حالة الحرب بين الدول المغاربية والفتن الداخلية، وكذا سطوة القبائل العربية، وقطاع الطرق، تراجعت التجارة بين الدول المغاربية بسبب فقدان الأمن في الطرقات، وبهذا قلت المنافع وتضررت مصالح الشعوب المغاربية، وما من شك أن تعطل هذه التجارة سوف يؤدي إلى ارتفاع الأسعار سبب قلة المواد وممارسة الاحتكار. كما بدأت تشكل اقطاعية فلاحية كبيرة حصلت على أراض واسعة نتيجة عملية الإقطاع التي كانت تمارسها الدولة الزيرية لإرضاء خلفائها السياسيين من القبائل العربية وغالبا ما كانت تلك الأراضي لا تشغل من قبل أصحابها مباشرة، وإنما كان مالكها يعين من ينوب عنه باستغلالها مقابل شروط، ويكثريها مقابل مبلغ عادة ما يكون مقدما²³، كما انتشرت في هذه الفترة أراضي الحبوس، وعمليات التجبيس الأخرى بصورة ملفتة للانتباه -وهذا ما تشير إليه كتب النوازل مثل الحاوي للبرزي والدرر المكنونة للمازوني- والمعيار للونشريسي، ليس فقط بسبب تيقظ الضمير الديني ولكن بدرجة أساسية فيما نعتقد بسبب عمليات الاغتصاب الممارسة وثقل أعباء الضرائب المفروضة، فكانت بعض الأسر تفضل تجبيس ممتلكاتها على المساجد والمدارس والزوايا بدل الاستيلاء عليها من قبل الدولة. وهناك علاقة ما بين انتشار المدارس الدينية والزوايا ابتداء من القرن السابع الهجري، وانتشار أراضي الحبوس²⁴، وهذا ما يدل على أن التيار الصوفي كان يحظى بمكانة كبيرة داخل المجتمع المغربي والذي كان يحسب له ألف حساب من طرف الدولة كما كان مصدرا لقوتها من جهة أخرى ما كانت له من قوة في استمالة النفوذ الشعبي بمعنى كان لدى هؤلاء الأولياء الصالحين سلطة روحية تفوق سلطة الدولة القائمة على القانون الوضعي. كما كانت خشية السلطات كبيرة من مواقف الزوايا.

وهذا ما ورد حسب أبو القاسم سعد الله إذ يقول ومن دراستنا لرسالة عبد الرحمن الثعالبي في الجهاد نعرف مدى تدهور الأوضاع السياسية في وسط البلاد أيضا، ومنها أيضا نعرف مدى ضعف القدرة السياسية وأهمية دور العلماء والمرابطين في قيادة العامة في الحروب ورد غارات الأجانب، ذلك أن الرسالة الموجهة إلى أحد علماء زواة أشارت إلى كل ذلك، وخصوصا ما يتعلق ببجاية وسهل متيجة وما حوله، ومن الملاحظ أن الثعالبي لم يشر في رسالته إلى أمير أو سلطان،

وكان يهيب بالعلماء أن يتحملوا مسؤولياتهم أمام الله والناس لصد غارات الأجانب أو "بني الأصفر" كما كان يسميهم²⁵، إذ تعددت عوامل انتشار التصوف ببلاد المغرب نتيجة الهزائم والانتكاسات المتتالية التي أدت إلى تنامي الوعي الديني والتفاف السكان حول رجال الدين للدفاع عن الإسلام والمسلمين بعدما عجزت الأنظمة الحاكمة على ذلك خلال القرون الثلاثة الأخيرة من العصور الوسطى وما حدث من صراع بين الدول المغربية الحفصية والمرينية والزيانية التي دفعت بالشعب إلى انتهاج طريق الحياة المنعزلة والآنزواء والفرار من جيروت الحاكم الطغاة الذين وجدوا ملاذاً في سلوكات وأفكار المتصوفة ومخرجاً من هذه الفتنة²⁶، ونتيجة لذلك ظهرت أزمات اقتصادية واجتماعية في كيان المجتمع المغربي مما أدى إلى خراب الكثير من المدن والأرياف وتعطل التجارة وحركاتها نحو المشرق وإلى غير ذلك وعرفت كذلك ظهور المرض والأوبئة نتيجة الحروب الأهلية وتعطل مصالح السكان وعدم استقرار الأمني دفع هؤلاء الناس إلى اللجوء للمتصوفة قاصدين استمالتهم وإرضاءهم، لكسب مودتهم والحصول على بركتهم والاستفادة من كراماتهم، حسب منال عبد المنعم جاد الله فالكرامة هي علامة صدق الولي، على طاعة الله عز وجل وهي عون له ودليلاً على حسن استقامته وصدق دعواه.²⁷

ب- العوامل الاجتماعية

بإضافة إلى اغتصاب الأراضي الزراعية سواء باستلاء عليها أو مصادرتها من طرف الدولة أو تحبيسها نتيجة لظلم أدى إلى ظهور خلال في توزيع الأراضي الزراعية والاستفادة منها وتقلص النشاط التجاري بسبب العوائق المفروضة مثل سياسة الضرائب التي أفقرت جزءاً كبيراً من الشعب حسب "بوداود عبيد" أصبحت بعض هذه الضرائب تشمل أبسط الأمور، ويمكننا أن نستنتج مدى ثقل هذه الضرائب، من خلال المغارم التي ألغاهها السلطان المريني أبو الحسن علي بن عثمان (731-752هـ) عقب حملته الناجحة على تلمسان وتمكنه من احتلالها سنة 737هـ ورفع فيها (أي تلمسان) من المغارم ما كان شائعاً ويجتمع فيه أموال المغرم على الخطب والبيض والدجاج والتين وسائر المرافق التي يفتقر إليها القوي والضعيف... ورفع فيها أيضاً تضعيف المخازن في الاختفاء... ومما رفع أبي مدين شعيب رضي الله عنه وظيفة مغرم الماء وكان سقي الجنات يضطر فيه المغرم للبراءة ولصاحب الحوز والحراس ويجرى فيه من المصائب والخسارات والغبن ما لا يدخل

تحت حصر وأسقط عن أحواز تلمسان وما اشتمل عليه المغرب الأوسط من الحوادث والظلمات ما يضاعف به الحسنات ويرفع له الدرجات.²⁸

يتضح أن تلك الضرائب التي فرضتها الدولة على الشعب كسرة قواعد الحياة الاقتصادية في الدولة بصفة عامة وقضت على كل مستويات المعيشة لدى السكان بصفة خاصة فلم تراعى الدولة نتائج التي سوف تنجر عن هذه العملية وإنما كان همها هو ضمان دخل قوي لتعزيز قوتها حتى تستطيع مواجهة الحروب الأهلية والفتن "العدو" مما خلقت خللا في اقتصادها أي أنها دفعت بالشعب إلى البطالة والتي ساهمت بدورها في ظهور الآفات الاجتماعية مثل المرض نتيجة لسوء التغذية الذي تبعه ظهور أمراض الأوبئة مثل الطاعون الخطير الذي عرفه المغرب في منتصف القرن الثامن الهجري، الذي تسبب في القضاء على عدد كبير من السكان، حيث وجد السكان المغرب في الميل إلى العزلة والانقطاع للعبادة، وسيلة للتهرب من جهنم هذه الحياة والبحث عن راحة البال والضمير.

ت- العوامل الثقافية

ومن أبرز ما تميز به القرن التاسع في الجزائر حسب سعد الله هو ظهور عقيدة المراتب وانتشار الزوايا وافتتاح عهد التصوف العملي خصوصا²⁹، أما حسب بوداود عبيد "فيعزى ظهور التصوف بالمغرب الأوسط كان في الفترة المبكرة من ظهوره، قد اقتصر على النخبة التي تتمتع بثقافة واسعة، ثقافة دينية في الغالب، أي كانوا من الفقهاء وارتكز على ما يعرف بالتصوف النظري الذي يتطلب قدرا عاليا من الثقافة، وجمعوا إليها السلوك المستقيم، حيث نالوا بفضل ذلك احترام مختلف شرائح المجتمع، وأصبحوا يشكلون قدوة لهم، فإن اكتساح التصوف مختلف الشرائح الشعبية سوف يفضي إلى ما يعرف بالتصوف العملي، مما لا يتطلب ثقافة واسعة، حيث أصبحت اهتمامات المريدين منحصرة في أعمال الحضرة وما يصاحبها من حركات "وقد استمال الصوفية العامة بظواهرهم فمالت إليها لتقريبهم لها طريق السعادة بالرياضة التي هي على العامة أيسر من العلم، وباعتقاد أن شيوخهم يحملون عنهم تقصيرهم في الدين³⁰، وهذا ما ذهب إليه سعد الله في قوله "لقد أدت المبالغة في الاعتقاد في الشيخ وانتشار الزوايا والأضرحة إلى نتيجتين خطيرتين أولاهما تبسيط المعرفة وثانيها غلق باب الاجتهاد، ذلك أن نقل التعلم إلى الزوايا قد أدى إلى اكتفاء بالحد

الأدنى منه بطريقة جافة ريفية ضيقة، وأصبحت الزاوية بذلك تنافس المدرسة والجامع (الجامعة) في نشر التعليم وفي كسب الأنصار، دون أن يلتفت الناس حول العلماء المشهورين في المدارس والمساجد أصبحوا يلتفون في زاوية حول شيخ أو مقدم تغلب على عقله الخرافة وعلى أحواله الزهد، وهكذا تدهور مستوى التعليم³¹، الناتج عن تدني مستوى الثقافي لدى رجال المتصوفة ذاتهم مقارنة مع سلفهم الأوائل، ماعدا القلة منهم لذلك حدث بينهم وبين الفقهاء تصادم حول نقاط عديدة تخص الجانب لاعتقادي والسلوكي لجمهور المتصوفة وبدأ التصوف ينفصل عن مختلف علوم الدين وأخذت كل من مدرسة السلفيين والمتصوفة في البروز وغاب ذلك التعايش الذي كان موجودا بينهما.³²

لذا ظهرت الدعوة السلفية بقوة في القطاع الشرقي من الجزائر في القرن الثامن الهجري وهي نابعة من صميم الجزائر والمغرب غير مستمدة من السلفية التي ظهرت واشتهرت في المشرق العربي على يدي ابن تيمية ومن جاء بعده، وقد كان العالم الإسلامي قد هرم بعد دولتي الموحدين في المغرب العربي، كما ضعف وكاد يتلاشى في المشرق العربي وقد نكسه ما أصابه من ويلات ومصائب المغول والتتار³³، بينما يؤكد "بوداود عبيد" على أن الصوفية والفقهاء السلفية تراشقوا التهم بينهم وذلك ما جاء على لسان العقباتي ت (871هـ) "فلقد أخبرني غير واحد عن رجل من العامة أعرفه الآن ممن وقف على كلام بعض أهل الظاهر من غير تفهم لمعانيه ولا ملاقات شيخ فيه أنه يفتي الناس مجاهرا غير مستنير ولا مستح من الله وغير مراقب لمن يقوم حدودها عليها بأشياء من الفواحش المنكرة"³⁴، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أن العلم في هذه الفترة عرف تراجعاً كبيراً نتيجة لتلك الحروب الأهلية والتعسف الحكومي والضرائب التي دفعت الشعب إلى الركون لزهد والانزواء الذي خلق جو رهيباً من الكلام أي الحرب الكلامية التي أدت إلى تفرقة الصفوف وظهور الوهن في صفوف المسلمين بسبب الجهل والبدع والخرافات التي عمت على المستوى الثقافي الذي بدوره انعكس على المظاهر الحياتية الأخرى، مما دفع العديد من علماء الدين للقيام بالإصلاح الديني "حسب درمنجهام" لقد أخذ شكل الإصلاح النضال ضد البدعة وتقوية السنة وهكذا كان الأمر مع محمد بن عبد الوهاب رغم أن هذا النوع من الإصلاح قد أثار معارضة "العلماء"، وبعد ذلك حوالي نهاية القرن نسبت الحركة السلفية الركود في الأراضي الإسلامية إلى

فساد الحياة نتيجة للبدع وأكدت أن الإصلاح يمكن أن يتحقق فقط خلال إزالة الانحرافات وإحياء السنة وقد عارضت حركة السلف المرتبطة بمحمد عبده، ورشيد رضا تقريبا كل مظهر للفرق باعتبارها لانحلال وتصوف غير إسلامي، بينما قبلت نوع التفكير الذي تمثله التعليمات الأخلاقية للغزالي³⁵، وهكذا يبقى الخلاف السلفي الصوفي قائما إلى يومنا هذا.

الهوامش:

- 1- لطيفة الأخضر، "الإسلام الطريقي"، دار راس للنشر، 1999، ص 19.
- 2- أبي مدين شعيب: أصله من أشبيلية من حصن متوجج جال وساح سكن تلمسان وبجاية وكان كبير الصوفية والعارفين في عصره ألبسه الشيخ عبد القادر الجيلاني الخرقه لذا أصبح من أتباع القادرية توفي سنة 594 فحمل إلي العباد مدفن الأولياء ينظر إلي" كتاب ابن مريم، "البتسان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986 ص 108-114
- 3- محي الدين ابن عربي: هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله أب بكر الطائي الحاتمي الأندلسي المرسي ولد بمريسية سنة 560 هـ عفا بالشيخ الكبير و ابن أفلاطون فهو من أسرة متصوفة دخل التصوف في العشرين من عمره حوالي سنة 580 هـ/1184 م عاش سائحا متجولا متعلما ومعلما ينظر إلي كتاب عصام الدين عبد الرؤوف الفقي تاريخ المغرب والأندلس مكتبة النهضة القاهرة 1990 ص 285
- 4- ألفرد بل، "الفرق الإسلامي في الشمال الإفريقي"، ترجمة عبد الرحمن بدوي دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 394.
- 5- منال عبد المنعم جاد الله، "التصوف في مصر والمغرب، دار توبقال للنشر الرباط، 1990، ص 125.
- 6- ألفرد بل، المرجع السابق، ص 405. عبد السلام ابن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام ابن حيدرة واسمه علي بن محمد بن ادريس بن عبد الله بن الحسن المثني ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه توفي سنة 622 هـ ينظر الي كتاب أبو العباس أحمد بن خالد الناصري الاستقصا تحقيق جعفر الناصري محمد الناصري ج2 دار الكتاب الدار البيضاء 1945 ص 237
- 7- منال عبد المنعم، "التصوف في مصر والمغرب"، المرجع السابق، ص 124.
- 8- فيلاي مختار الطاهر، "نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها خلال العهد العثماني"، دار الفكر القرافيكي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، باتنة ص 19.
- 9- فيلاي مختار الطاهر، المرجع السابق، ص 19.
- 10- ابن مريم، "البتسان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986، ص 07.

- 11- ألفرد بل، المرجع السابق، ص 421-423.
- 12- منال عبد المنعم، المرجع السابق، ص 126.
- 13- عمار هلال، "الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السوداء"، منشورات وزارة الثقافة والسياحة الجزائر، ص 110.
- 14- أبي الحسن الشاذلي: علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع الحسني أبو الحسن الشاذلي توفي بطريقه إلى الحجاز في 10 ذى القعدة 656هـ ينظر إلى المصدر السابق "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" ص 341
- 15- محمد مفتاح، "الخط بالصوفي"، مكتبة الرشاد، ط1، 1997، ص 128.
- 16- عبد المنعم القاسمي الحسني التصوف والصوفية في الجزائر www.google.com 2009/06/09
- 17- إبراهيم مياي، "دور الزوايا في نشر التعليم الأصلي"، أعمال المكتبي الوطني لأول والثاني حول دور الزوايا وإبان المقاومة والثورة التحريرية، منشورات المجاهدين الجزائر، 2007، ص 313.
- 18- ألفرد بل، المرجع السابق، ص 430.
- 19- عبد الرحمن الجيلالي، "تاريخ الجزائر العام"، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة السابعة، الجزائر، 1994، ص 251-252.
- 20- مثال عبد المنعم، المرجع السابق، ص 128.
- 21- أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 1998، ج4، ص 222-223.
- 22- المصدر السابق ص 224.
- 23- بوداود عبید، "ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرن 13م، 15م، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران 2000، ص 181.
- 24- أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 1998، ج1، ص 228، بتصرف.
- 25- أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 43.
- 26- عبد المنعم القاسمي الحسني التصوف والصوفية في الجزائر www.google.com 2009/06/09
- 27- منال عيد المنعم جاء الله، المرجع السابق، ص 143.
- 28- بوداود عبید، المرجع السابق، ص 185.
- 29- أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ج1، ص 48.
- 30- بوداود عبید، المرجع السابق، ص 188.

- 31- أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ج1، ص 48.
- 32- بوداود عبيد، المرجع السابق، ص 194.
- 33- محمد الصالح رمضان، "أقطاب السلفية في الجزائر ورؤيتهم الدينية والوطنية"، مجلة التراث، شركة الشهاب
كنشر العدد 4، ديسمبر 1989، باتنة، ص 93.
- 34- بوداود عبيد المرجع السابق، ص 195.
- 35 - سبنسر ترمينجهام الفرق الصوفية في الإسلام (ترجمة. عبد القادر البحراوي)، دار النهضة العربية، بيروت،
ط1، 1997، ص 396